

العمال والاشتراكية

ان بين^(١) الشباب العربي والشعب العربي فرقة لم يقصدها احد من الطرفين وانما وقعت بحكم الاضطرار. فلا الشعب أراد أن يتعد عن ابنائه ولا الشباب أرادوا أن يتعدوا عن الشعب، ولكن حالتنا غير طبيعية، ولو كانت الاوضاع سليمة صحيحة شأن البلاد الراقية لكان هذا الاتصال امرا ميسورا ولما كنا سَمِينا شعبا وشبابا وفرقنا بينهم لأن الشباب هم من الشعب أبناؤه واخوته.

ولهذه الحالة غير الطبيعية اسباب ومبررات، فوجود افراد وفئات تستغل موارد البلاد ومواهب الشعب تستعبده لكي يسهل عليها استغلاله لا يوافقها أبدا ان يكون هناك اتصال بين الشعب وابنائهم المخلصين الذين يفهمون حاجاته ويطمحون للتعاون معه لبلوغ الغاية المشتركة لمصلحة الجميع.

ان موضوع حديثنا هو الاشتراكية. والاشتراكية بصورة بسيطة كما يفهم من لفظها. هي أن يشترك جميع المواطنين في موارد بلادهم بقصد أن يحسّنوا حياتهم وبالتالي حياة أمتهم، لأن الانسان الفرد لا يقبل ان يجعل نفسه غاية في الحياة. حتى ان ادنى المخلوقات البشرية في الاخلاق والتفكير ترى فيها هذا الميل وهذه الحاجة الى أن تجعل لحياتها غاية ابعد من مصلحتها الشخصية، فبالاحرى الانسان الراقى الذي لا يستهدف سوى نجاح امته وازدهارها. والاشتراكية يمكن ان تفهم ايضا بأنها نظرية اقتصادية حديثة ظهرت في قسم من بلاد العالم في هذا العصر، ولها تعاريف وأصول وأنظمة معروفة، غير انها كلها ترجع الى هذا التعريف البسيط الذي ذكرناه، أي اشتراك المواطنين في موارد البلاد التي هم منها.

لكن علينا أن نعرف بأن للاشتراكية معنى آخر غير معنى نظرة معينة ظهرت في الغرب. لها معنى طبيعي مستساغ من النفس البشرية والعقل والضمير، وهي بهذا المعنى لا تخص امة بعينها او تخص عصرا او زمانا بذاته. هي شيء أعم وأثبت من النظرية.

أيها الاخوان: الحقائق هي دوما بسيطة. ماذا نريد من الحياة لأنفسنا ولأمتنا

(١) حديث ألقى في اجتماع عمالي.

وللارض التي نعيش عليها؟ هل نريد لها الا الخير والتقدم؟ هل نريد لها الا أن يكون الواحد منا ضامنا لحاجاته، وان تكون السبل مفتوحة امامه لكي يظهر مواهبه وينشط ويعمل وينتج في النواحي التي يجيدها، وان يضمن مثل هذا السبيل لأولاده؟. وبالتالي نريد لامتنا ان تكون امة يسودها الخير والعدل والانتاج النشط الراقى. وان تكون حالتها الاجتماعية على ارقى شكل ممكن في العلوم والفنون، وهذا ما يريده الفرد وما يريده المجموع فكيف يمكن ان نحقق هذه الغاية؟ ان أقلية من الناس تملك معظم الثروات وتسيطر على السلطة وتتصرف بها حسب رغباتها، وهي لا تكتفي بذلك بل تطلب المزيد. والنتيجة الطبيعية هي أن تحرم أكثرية الشعب من حقوقها. ولو كان الاسياد يستطيعون أن يحرقوا الارض بأنفسهم او يشتغلوا بالمصانع لحرموا الشعب من كل حقوقه، لذلك فانهم يجدون انفسهم مضطرين الى ان يعترفوا للأكثرية بحق بقاء الرمق حتى يستطيع الشعب العمل للاسياد.

في هذه الحالة من الاستثمار والاستغلال لا يكون الغدر واقعا على افراد او فئة من الناس وانما تكون الجناية على الامة بأسرها. والبلاد المتخلفة هي تلك التي يكون افرادها محرومين من اكثر حقوقهم متأخرين في صحتهم وعلمهم وانتاجهم الاقتصادي. ان هذا الوضع الشاذ، أي سيطرة أقلية من أبناء البلاد على ثروتها، وحرمان أكثرية الشعب من الحقوق الطبيعية المشروعة، يحول دون تقدم الوطن. فهذه المنافع التي يجنيها المستغلون تخنق مجموع الشعب وتحكم على الأكثرية الساحقة التي هي مجموع الامة تقريبا بأن تدفن وهي حية، فالشعب الذي يستطيع ان يصنع وينتج ولا يسمح له الا بانتاج بسيط ولا يعطى الا مدى ضيقا محدودا جدا في الحياة، ويفرض عليه الجهل والمرض والخوف والعبودية، هذا الشعب هو في حكم الميت وان كانت روحه في صدره.

فاذا فهمنا الاشتراكية بهذا المعنى وهي اننا نريد ان نرجع الى الحالة الطبيعية المشروعة وان ينال كل ذي حق حقه حسب جدارته وكفاءته ويسمح للشعب بأن يظهر مواهبه ويستفيد منها، عندها يمكن ان يرتقي الشعب اي المجموع، فالطبقة الشعبية تساوي الامة تماما لانها الاكثرية الساحقة والعنصر المنتج حقا.

الاشتراكية اذن ليست شيئا غريبا صعبا اتانا من بلاد نائية، وليست نظريات معقدة. انها الشئ البسيط المشروع الذي يطلبه كل عقل سليم وضمير حي، ولا

يمكن لأي فرد أو فئة أن يكون مخلصا لوطنه، يشعر شعورا صادقا نحو أمته ويأبى في الوقت نفسه على الشعب هذا الحق، لان القومية، التي هي الغيرة على مصلحة الأمة، والاشتراكية تكادان تكونان شيئا واحدا.

فتحقيق الاشتراكية في حياتنا شرط اساسي لبقاء امتنا ولإمكان تقدمها، واذا لم تعمم الاشتراكية ولم نسع الى تحقيق العدل الاجتماعي لجميع الافراد، ولم ينقلب الشعب العربي الى شعب منتج الى اقصى حدود الطاقة، اذا لم يتحقق كل هذا يكون كل كلام عن حرية العرب واستقلالهم ضربا من اللغو ونوعا من التضليل. ان مصلحة القومية وبقاء الأمة ومجاراتها للامم الراقية وصمودها في تيار التنافس بين الدول متوقف على تحقيق الاشتراكية، اي السماح لكل عربي دون تمييز او تفريق بأن يصبح حقيقة ملموسة منتجة ولا وهما من الاوهام.

عام ١٩٥٠